ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

طرق التعليم عند أبي عبد الله الشريف التلمساني

Methods of education at Abi Abdullah Al - Sharif Talemesani

عبد العالي غزالي *
GHEZALI abdelaali
طالب دكتوراه ل.م.د، تخصص التاريخ الحضاري للمغرب الأوسط
– قسم العلوم الإنسانية– جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان. البريد الإلكتروني: gezeli3112@gmail.com

Abstract: *Abou abdallah al-Sharif al Tlemceni contributed to the revitalization of the education and teaching movement in the city of Tlemcen, by using different educational metods through which he was able to create special stuedents, and an appendix issues that were formed on the basis of scholars and modernists, and the dissemination of interpretation and religions origins, as he was lecturing in mosques and school with commentarg and focusing more on the meaning than the word in the science and knowledge, and his capacity, in addition to the offices of scientists and their correspondence to allon them to work or consider their opinion on issues of figh and social issues that have been made to them.*

So he emerged on the scholars of hi age through his educational metods, and his good delivery, and his smooth style, and his literay speech, and his way of educational, as a sholar of the transport and metal science, where his has contributed greatly to what she has received from sheikh Al Abili, as he took Abi abdallah al-Sharif teaching abbreviation and acronyms in fiqh,interpretation,literature and so on the scholars is considered to be in the presence of Tlemcen.

Key words: *Tlemcen; Abou abdallah al-Sharif; revitalization; Education; religions; mosques; school; correspondence; metods; abbreviation.*

مقدمة: تعتبر تلمسان موطن العلم والعلماء، ولا يمكن لباحث أو دارس لتاريخها المجيد أن ينتابه شك أو ريب في كونها أنتجت شجرة مباركة أصلها ثابت تمثله مراكزها العلمية، وفروعها علماؤها، أولئك الذين ازدانت بهم دولة بني زيان، وأناروا أمصارها بنور العلم والمعرفة كما ذاع صيتهم عبر كل أصقاع العالم الإسلامي شرقا وغربا ومن أهم هؤلاء العلماء الذين وضعوا بصماتهم الشيخ العلامة الفقيه أبو عبد الله الشريف التلمساني، إذ يعتبر نبراس العلماء بحاضرة

* تاريخ استقبال المقال:2017/06/22 تاريخ المراجعة:2017/10/02 تاريخ القبول:2017/10/08

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

تلمسان وذلك من خلال علمه الغزير وتحصيله الوفير وتعليمه الأصيل، فقضى معظم حياته بين إقراء القرآن وإلقاء الدروس الفقهية وتلقين النظم والمتون وشرح المعاني وصعاب الأمور، حيث استعمل هذه الطرق التعليمية لنشر العلم والمعرفة في بلاد المغرب الإسلامي عامة وحاضرة تلمسان خاصة، إذ كان يلقي دروسه في المساجد والمدارس مع الشرح والتركيز على المعنى أكثر من اللفظ، بالإضافة إلى توليه تدريس المختصرات في العلوم العقلية ومنها المنطق، حيث شرح جمل الخونجي بأسلوب يتناسب وقدرات الطلبة في فهمها، وأصبح أبو عبد الله الشريف فارس المنقول والمعقول وصاحب الفروع والأصول، وانتهت إليه الإمامة بالمغرب، فمن هو الشريف التلمساني؟ وماهي الطرق التعليمية التي اعتمدها في تدريس الطلبة والمتلقين عنه؟ وكيف وظف هذه الطرق في نشر علومه ومعارفه؟

أولا: أبو عبد الله الشريف التلمساني:

1- تعريفه ونسبه: هو محمد بن أحمد بن علي الشريف الإدريسي، المكنى بأبي عبد الله، واسم شهرته الشريف التلمساني[1]، كما يعرف أيضا بالعلوي[2] اشتهر بهذا اللقب نسبة إلى قرية العلوين[3] (عين الحوت حاليا)[4]، الواقعة في شمال مدينة تلمسان، التي ولد بها ونشأ فيها[5]، عرف أيضا بأبي عبد الله الشريف أو الشريف، وأضيفت إليه ألقاب متنوعة كانت تطلق عليه حسب الاعتبارات الفقهية أو العلمية أو نسبة لمؤلفاته منها: "الإمام" و"الشيخ" أو صاحب المفتاح" أو "شارح الجمل للخونجي"[6]، أما نسبة التلمساني فهي تعود للمدينة التي ولد بها وهي تلمسان[7].

يعود أصل أبي عبد الله التلمساني إلى الأسرة العلوية، لذلك يعرف بالإدريسي نسبة إلى إدريس بن عبد الله بن حسن وهو أول من دخل بلاد المغرب وذكره بالحسني[8] نسبة إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، كما عرفت هذه الأسرة بالعلم والشرف والنباهة[9]، كما يمكن أن نجمل سلسلة نسبه على النحو التالي: هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن يحي بن علي محمد بن القاسم بن حمود بن علي بن عبد الله بن ميمون بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[10].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

ولد الشريف التلمساني سنة 710هـ/1310م[11]، هذا التاريخ يؤكده بإجماع جُل المترجمين لحياة الشريف التلمساني، إلا أن هناك من يخالف هذا الرأي، وفي ذلك ما ذكره أبو زكريا السراج[12] والمسيلي[13] مع أن تاريخ وفاته كان سنة 771 هـ/1370م[14].

2- نشأته وتعليمه: بدأ الشريف التلمساني مرحلته الدراسية وهو في سن مبكرة، برعاية خاله عبد الكريم الذي كان يصطحبه معه إلى مجالس العلم والعلماء، ومن هنالك برزت قدراته الذهنية ونجابته، فكان محبا للعلم ومولعا بمجالسه[15]، يذكر الونشريسي في أنه: «حضر يوما مجلس أبي زيد بن الإمام في تفسير القرآن فذكر نعيم الجنة، فقال له الشريف وهو صبي: هل يقرأ فيها العلم؟ فقال له: نعم فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين فقال له : لو قلت لا، قلت لك: لا لذة فيها فعجب منه ودعا له»[16].

كانت تلمسان أول محطة علمية ينطلق منها الشريف التلمساني، حيث أخذ ينهل من ينابيع العلم على يد مجموعة من علماء تلمسان، كل حسب التخصص العلمي المتضلع فيه، فالبداية كانت دراسة القرآن الكريم حفظا وتجويدا على يد الشيخ أبي يزيد ابن يعقوب[17]، ثم تواتر على أيدي جملة من المشايخ نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

*القاضي أبو عبد الله محمد بن منصور بن هدية القرشي (ت736هـ/1335م)، وأخذ عنه علوم اللغة العربية وآدابها.

*الإمام أبو موسى عمران بن موسى المشدالي، صاحب الأصول البجائية، وكان استقراره بالديار التلمسانية (ت745هـ/1344م)، درس عنه الحديث والفقه[18].

*ابنا الإمام أبي زيد عبد الرحمن بن عبد الله التلمساني (ت743هـ/ 1342م)، وأبي موسى عيسى بن عبد الله[19] أخوه المتوفي (749هـ /1348م)، تفقه عليهما في الأصول والكلام[20].

*أبو عبد الله محمد بن يحي بن النجار عالم التعاليم (ت 749هـ/1348م)، أخذ عنه العلوم العقلية الأولى[21].

بلغ الشريف التلمساني مرتبة راقية في تحصيل العلوم، مما مكنه من أداء مهمة التدريس وهو ابن أحد عشر عاما[22]، هذه المكانة التي لم يُجزلها إلا صاحب العلم الغزير والحنكة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

والرزانة والدراية بأصول العلوم وفروعه، نظرا لعلو شأنها، وثقل مسؤوليتها، حيث أقرأ العلوم الشرعية والعقلية في زمن شيوخه،الذين شجعوه وشهدوا له بموفور العقل وحضور الذهن[23].

3- رحلته العلمية: بعد أن تتلمذ الشريف التلمساني على يد علماء وفقهاء بلده، اشتدت عزيمته وتضاعفت شوكته للاستزادة في طلب العلم، فشد رحاله كباقي طلبة عصره ليتبحر في مختلف العلوم ويحتك بهم ويتنافس معهم، وعليه اختار وجهته نحو تونس سنة (740 هـ/1339م)[24] أين لقي قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن يونس الهواري (ت749 هـ/1348م)[25] وهو إمام الفقهاء والنحويين فأخذ عنه واستعظم رتبته في العلم[26].

وبعد أن طاب مقامه بتونس وعلت مكانته العلمية، وجد الشريف نفسه بحاجة إلى توجيه بصيرته نحو فاس، تلك الوجهة التي كان على كل طالب علم الحج إليها، ليغترف العلوم المختلفة من مجالس علمائها، وكانت بدايته انطلاقا من مجالسة أبي فارس عبد المؤمن بن موسى الجناتي (ت746هـ/1345م)[27]، أين درس عليه المدونة للإمام مالك، وهناك قيض الله له شيخ العلوم العقلية الآبلي[28]، فارتكز على معارفه وكان له منها النفع الكبير، وعنه قال ابن خلدون: «ثم لزم شيخنا الآبلي، وتضلع من معارفه واستبحر وتفجرت ينابيع العلوم من مداركه»[29].

كان الشريف التلمساني كلما تيسرت له الفرصة إلى لقاء عالم أو فقيه يتناسى ذاته ويحاول استغلال كل لحظة تربطه به لينال ويستفيد من علومه كما بقي إلى جانب شيخه الآبلي أربعة أشهر، لم ينزع فيها ثوبه ولا عمامته لكثرة انشغاله بالبحث، وكان إذا غلبه النوم نام نوما خفيفا؛ فإذا استفاق منه لم يعد إليه أصلا ويقول في ذلك: «أخذت النفس حقها، فيتوضأ ثم يرجع للنظر»[30]، وهذا ما سمح لعدد كبير من الطلبة أن يتخرجوا على يديه، ويصبحوا علماء عصرهم، ومنهم ابناه عبد الله وعبد الرحمن وابن زمرك وإبراهيم الشقري والسراج وابن مرزوق الحفيد وابن عباد وابن السكاك وإبراهيم المصمودي، والعلامة عبد الرحمن بن خلدون وأخوه يحي، وأبو إسحاق الشاطبي وغيرهم[31].

هكذا كان دأب الشريف التلمساني في تحصيله العلمي وتعليمه؛ فلم يدع لحظة من حياته منذ طفولته تمر عليه دون أن ينتفع أو ينفع؛ فحياته كلها وهبها للتأثير والتأثر العلمي حتى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

أصبح إماما مجتهدا، وإلى ذلك يشير ابنه عبد الله، ويصف اجتهاد أبيه وحبه لمسيرته العلمية قائلا: «أنه بقي في بعض الأزمنة ستة أشهر مشتغلا بالعلم لم ير فيها أولاده، لأنه يقوم صبحا وهم نائمون، ويأتي ليلا وهم نائمون»[32]؛ فقد كان يوزع ليله ونهاره؛ فأوله للنوم والنظر والصلاة وثانيه للتدريس والمطالعة والتلاوة.

وعندما استولى أبو عنان المريني على تلمسان سنة 753هـ/1352م[33] استخلص أبا عبد الشريف ثم ألحقه بمجلسه العلمي، واصطحبه معه إلى فاس، حيث تألق نجمه وزادت شهرته، ورغم كل هذا التقدير السلطاني الذي ناله الشريف التلمساني إلا أنه كان رافضا لهذه الرحلة، ربما لسببين أولهما: مفارقته لأهله وتلامذته الذين ألفوه في تلمسان، وثانيهما عدم رغبته في التقرب من البلاط، ولعل ما يدل على ذلك هو حينما ضجر من غربته وردد قوله للسلطان: «إن تقريبك إياي ضجرني أكثر ما نفعني، ونقص به ديني وعلمي»[34]؛ فغضب السلطان وزجّ به في السجن ثم أطلق صراحه، واعتذر إليه بعد استياء العامة من هذه الفعلة[35]، وهذا ما يبرز قوة شوكة أبي عبد الله الشريف، وعظمة شخصيته وعدم مجاراته لأصحاب السلطة.

بعد وفاة السلطان أبي عنان عام 759هـ/1350م[36] رجع أبو عبد الله الشريف إلى تلمسان أين كان يجد ضالته، وذلك بعد أن وجه إليه السلطان أبو حمو موسى الثاني دعوة يدعوه فيها للرجوع إلى تلمسان؛ فنزل بها وكان له استقبال العظماء، مما يثبت علو قدره وشأنه وجلال علمه وزوّجه إحدى بناته[37]، وبنى له المدرسة اليعقوبية سنة 765هـ/1364م)[38] التي لقن فيها العلوم حتى وافته المنية في الرابع من ذي الحجة 771هـ/1369م[39]، ودفن بجوار أبي يعقوب والد السلطان أبي حمو موسى الثاني، وذلك تبركا بجواره[40].

2- طرق التعليم: تثبت معظم المصادر التي ترجمت أبا عبد الله الشريف أنه بلغ رسالته العلمية عن طريق استعماله لطرق[41] تعليمية مختلفة، والتي كانت سائدة في معظم حواضر المغرب الاسلامي، وهي تختلف في كيفية استعمالها من شيخ لآخر، إذ يمكننا تسليط الضوء عليها في الفترة التي نحن بصدد دراستها وهي كالآتي:

1- طريقة الإقراء والإلقاء: سادت هذه الطريقة في الكُتَّاب حيث أن معلم الصبيان يجلس في وسط حلقتهم ويملي عليهم شيئا من القرآن الكريم وهم يكتبون[42] على لوح خشبي مصقول

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

بواسطة الدواة والقلم، ثم يقوم بتحفيظهم سورا من القرآن، وعند اكمال حفظ السورة يمتحن الصبي فيما هو معروف لحد الآن بالختمة، وبعدها يُخيَّر الصبي إما بمواصلة طلب العلم أو الانقطاع عنه[43]، وكان أبو عبد الله الشريف التلمساني قد استعمل هذه الطريقة مع تلامذته حيث كان أكثر اعتناءً بالإقراء[44] وليس بالتأليف[45]، ويؤكد لنا المقري أن طريقة الإقراء كانت ميزة علماء تلمسان خلال القرن الثامن الهجري، ويذكر نقلا عن لسان الدين ابن الخطيب أن أبا عبد الله ابن مرزوق كلفه بإقراء العلم بمدرسته حيث يقول: «وأقعده للإقراء بالمدرسة من حضرته».[46]

أقبل الناس على أبي عبد الله الشريف واستعانوا بحسن القائه وحلاوة فيضه وسهولته؛ فيرقى به الطالب في أسرع وقت مع بشاشة وشفقة[47]، فانتشر العلم بذلك، وكان له قصب السبق في بلوغ الغاية القصوى من الإدراك والتبحر وفصاحة اللسان عند الإلقاء[48]، كما يظهر لنا أنه كان يقرأ ويلقي دروسه وعلومه على الطلبة والعلماء والوزراء، حيث يذكر التنبكتي في كفاية المحتاج أن ابن عبد السلام كان يصغي إليه ويوثره ويعرف حقه حتى زعموا أنه كان يقرأ عليه في الخلوة فصل التصوف من إشارات ابن سينا وتلاخيص أرسطو وغيرها[49]، ويذكر لنا كذلك أنه كان يقرأ على نقيب الدولة بتونس فيقول على لسانه: «فلما جئت في الغد جلست بموضعي فأقامني نقيب الدولة؛ فأجلسني بجنب ابن عبد السلام بأمره له؛ فلما فرغ من القراءة قال: أنت الشريف قال: نعم، فأكرمه، وكان يقرأ عليه في داره[50].

استطاع أبو عبد الله الشريف أن يتفوق على أقرانه من العلماء، وذلك من خلال تحصيله العلمي الوافر الذي أهله الى بلوغ مرتبة الاجتهاد في تفسير القرآن على طريقة الإلقاء والإقراء، حيث أمر أبو عنان الفقيه المقرئ بإقراء التفسير بحضرة العلماء فأبى وقال: الشريف أعلم بها مني، فلا يسعني الإقراء بها في حضرته[51]؛ فعجبوا من انصافه؛ ففسر الشريف بحضرة كافة العلماء[52]؛ ويثبت لنا التنبكتي كذلك هذه الطريقة التي تميز بها الشريف في قوله: «وكان قليل التأليف إنما يعتني بالإقراء، مجلسه ذو نزاهة ودراية وتحقيق، نهاره كله بين إقراء وتلاوة ومطالعة، يقسم الوقت بين طلبته بالرملية»[53].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

ويبرز لنا ابن مريم صورة واضحة على ارتفاع قدره عند العلماء بإقرائه علوم الفقه وبخاصة المدونة والفقه المالكي مع تفسير القرآن الكريم ومدى إعجاب الطلبة به حيث يقول: «فاتسع العلم باعه ولانت طباعه وعظم قدره؛ فأقرأ العلوم في زمان شيوخه»[54]، ويضيف كذلك بأنه كان يقرئ الفقه في كثير أحيانه وغالب أوقاته، لم يزل يقرئ المدونة بعد التفسير حتى مات، ولم ينتفع الطلبة في وقته بأحد من مصر من الأمصار ما انتفعوا به»[55]، ويشير عبد الرحمن بن خلدون في المقدمة إلى أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلونه من المذاهب والفضائل عن طريق الإلقاء[56].

كما كان الشيخ أبو عبد الله الشريف يضجر ويتبرّم من بعض المتلقين عنه، نتيجة التجمل والمبالغة في الإقراء، ويروي ابن مريم قصة عن ذلك، حيث كان يحضر مجلسه كبير الوزراء لطلب العلم؛ فمال يوما على بعض الأئمة فنظر إليه نظرة غضب وعنف وشدد عليه؛ فسكت الوزير ولم يقطع مجلسه، وقرأ عليه بعض الطلبة كتب الغزالي على وجه التجمل بها؛ فرأى الشيخ في المنام كأنه يضع كتبه في موضع قذر؛ فتركه ولم يعد لتعليمه[57]، نلاحظ أن أبا عبد الله كان يتلقى صعوبات أثناء تأدية واجبه التعليمي في مدينة فاس، ولعل هذا من بين الأسباب التي جعلته يحن إلى وطنه ويترك حاضرة فاس.

2- طريقة اختيار كتاب معين من العلوم وشرحه: كانت هذه الطريقة معمولا بها في حاضرة تلمسان خاصة عند أبي عبد الله الشريف، حيث يقوم أحد الطلبة النجباء بقراءة نص من كتاب مشهور في المادة المدروسة، ويتولى الأستاذ شرحه فقرة فقرة[58] حسب ما تيسر له من غزارة حفظه وسعة اطلاعه، والطلبة يقيدون في كراريسهم ما يسترعي انتباههم من شرح الأستاذ وأجوبته على أسئلة الطلبة[59]، وجاء في كفاية المحتاج أن الشريف التلمساني رجع لتلمسان وتصدى للتدريس وبث العلم؛ فملأ المغرب معارف وتلاميذ[60].

يتبين لنا من خلال ما جاء في كفاية المحتاج أن أبا عبد الله الشريف استعمل هذه الطريقة أثناء عودته من رحلته العلمية من تونس بحيث كان يركز كثيرا على المعاني في الشرح، ويأخذ بأيدي الطلبة إلى فهم محفوظاتهم من المتون بأقل جهد وبأقصر طريق، كما ذكر صاحب البستان أنه كان إماما حبرا نظارا، شرح جُمل الخونجي وألف كتاب المفتاح في أصول الفقه[61].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

وكانت حلقة التدريس تتخذ شكل المجالس العلمية، حيث يحتل نجباء الطلبة الحلقة الأولى، ويليهم من يأتي بعدهم ثم من يليهم[62]، ويتوسط طلبة الحلقة الأولى قارئ يتولى تلاوة الآية المراد تفسيرها أو سرد الحديث المقصود شرحه، ويعرف باسم السارد، وله أهمية كبرى بالنسبة إلى الشيخ؛ فإن هذا يعتمد عليه في تتبع عناصر الدرس وغضون الحديث[63]، وكانت هذه الطريقة تسود في مرحلة التعليم الاحترافي وبالأخص في المدرسة[64] إذ كان أبو عبد الله الشريف ملما بالعلوم والمعارف، ومن أعلم الناس بالعربية وأجمعهم لعلومها...، فصيح اللسان كثير الإنصاف، وهذا ما جعله يتصدى للتدريس شارحا ومذللا صعاب الأمور[65].

3- طريقة التقييد[66]: وهي طريقة تقوم على أساس تدوين ما ألقي وشرح من طرف الشيخ أو الأستاذ في كتب وكراريس حتى لا يضيع العلم، وهذا ما استعمله الشريف التلمساني مع طلبته والمتلقين عنه، ومن القرائن الدالة على ذلك ما ذكره التنبكتي في كفاية المحتاج بقوله: «ووصل في التفنن في العلوم إلى الغاية، جمع بين الحق والحقيقة، لا يشق غباره بل حظ العلماء السماع منه»[67]، وما يدلنا كذلك على أن هذه الطريقة كانت إحدى ركائز التعليم بحاضرة تلمسان هو تقييد فتاوى وشروحات أبي عبد الله الشريف من طرف كبار فقهاء المغرب والأندلس، إذ كان الفقيه الصالح موسى العبدوسي[68] كبير فقهاء فاس يبحث عن فتاويه وتقاييده ليكتبها وهو أسن من الشريف[69]، كما جاءه القاضي القشتالي[70] بعد خروجهم؛ فطلب منه تقييد ما ألقي يومئذ فقال: إنه من كتاب كذا وكذا، وذكر كتبا معروفة عندهم[71].

نلاحظ أن الشريف كان له دور كبير في تنشيط حركة التعليم من خلال عطائه العلمي باستعماله هذه الطريقة، وبما أنه كان يلزم المتلقين عنه أن يقيدوا ما يمليه عليهم إلا أنه ساهم في حركة التدوين والتأليف، بوضع شروح على المسائل المراد بيانها وحواشي وتقاييد وتعاليق، تتحول جميعا بعد مدة إلى تآليف في مختلف الفروع[72]، ويشير ابن مريم كذلك إلى كتاب شرح جمل الخونجي الذي ألفه الشريف التلمساني حيث يذكر أنّ العلماء انتفعوا به وأكبوا عليه قراءة ونسخا فانتشر[73]، وكان الطلبة أوفر حظا في زمانه بما أخذوه عنه، وذلك بسبب حسن إلقائه للدروس والطريقة السهلة التي اتبعها في تعليمه، إذ كان لا يفضل عليهم أحدا مهما كانت منزلته في المجتمع، وهذا مما جعلهم يفضلونه على كثير من الشيوخ[74].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

4- المراسلة (المكاتبة): راسل العلماء والشيوخ أبا عبد الله الشريف من مختلف الحواضر الإسلامية لأغراض علمية أشكلت عليهم، أو يبعثون إليه تآليفهم لينظر فيها ويبدي رأيه فيها، وإن لم تكن طريقة تعليمية مباشرة إلا أنها تبقى وسيلة استعملها العلماء والشيوخ مع الشريف التلمساني ليتمكنوا من نشر علومهم ومعارفهم بعد إجازة الشيخ لهم، حيث راسله أكبر علماء الأندلس يطلبون منه إبداء الرأي في مسائل فقهية أو كتب[75]، ومن بينهم العالم الشهير لسان الدين ابن الخطيب حيث كلما ألف تأليفا بعثه إليه وعرضه عليه وطلب منه أن يكتب عليه بخط يده، كذلك كان الشيخ الإمام أبو سعيد ابن لب[76] شيخ علماء الأندلس وآخرهم كلما أشكلت عليه مسألة كاتبه بها، وطلب منه بيان ما أشكل عليه مقرا له بالفضل[77]، نستخلص من هذا التواصل العلمي أن الشريف التلمساني حظي بمكانة مرموقة لدى علماء الأندلس في زمانه، وكان له الفضل عليهم في إجازتهم لأعمالهم.

5- ظاهرة المختصرات: عرفت حواضر المغرب الإسلامي عامة وتلمسان خاصة تدريس المختصرات والمتون في الفقه والتفسير والأدب وغيرها، إذ تولى الشريف التلمساني تدريس مختصر كتاب الجمل للخونجي[78] في المنطق، ومختصر ابن الحاجب في علمي الأصول والجدل وغيرها في مختلف العلوم، حيث يذكر ابن مريم أنه كان مذللا لصعاب الأمور، إماما في العلوم العقلية كلها: منطقا وحسابا وتنجيما وهندسة وموسيقى وطبا وتشريحا، وكثيرا من العلوم القديمة والحديثة[79].

هذا وقد انتشرت ظاهرة تأليف المختصرات وتقليل الألفاظ، ونظم المتون والقصائد تيسيرا على الحفظ، وجمع ما هو في كتب المذهب من الفروع ليكون أجمع للمسائل التي يعجز الطلبة على استيعابها جميعا، وتقريب المسافة وتقليل الزمن، وتخفيف المشاق نظرا لكثرة العلوم وضخامة حجم التآليف[80] غير أن حصول المبالغة في المختصرات نشأت عنها أضرار منها: تغيير المسائل عن موضعها، وإحداث لغة ثانية وهي مصطلحات شرعية وعربية، فأصبحت الجملة الواحدة تحتمل جملة من الاحتمالات بالنظر إلى وجود المشترك والتراكيب ذات الوجهين[81]، ومترادفات متفاوتة المعنى، وضاع جل الوقت في حل المقفل وبيان المجمل، وقد نبه الآبلي والمقري الجدّ وعبد الرحمن ابن خلدون إلى آفة المختصرات وخطورتها لما فيها من مشاق في فتح

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

الإغلاق[82]، ويقول عبد الرحمن ابن خلدون في هذا الصدد: «اعلم أنه مما أضر بالإنسان في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التآليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم، وتعدد طرقها، ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك...؛ فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها أو أكثرها ومراعاة طرقها، ولا يفني عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرد لها»[83].

كما يبين لنا ابن خلدون أن أهل المغرب كانوا يربون النشء على حفظ القرآن ومدارسة معانيه ومسائله متجنبين بذلك أضرار المختصرات التي لا تتناسب وسن التلاميذ، ويظهر لنا ذلك من خلال قوله: «فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط؛ وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم... إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه»[84].

خاتمة: وفي الأخير نستنتج من خلال هذا البحث أن أبا عبد الله الشريف التلمساني استعمل ثلاثة طرق تعليمية رئيسة في نشر علومه ومعارفه إلى طلبته والمتلقين عنه، تمثلت في إقراء القرآن الكريم وتلقين العلوم والمعارف، وبعد ذلك يباشر طلبته بشرح الجمل ومعانيها ثم يأمرهم بالتقييد في قراطيسهم لكثرة ما يلقيه عليهم حتى لا يضيع العلم، ويبدو جليا أن الطريقة التي استعملها كثيرا مع طلبته هي طريقة الإلقاء والإقراء لأنه كثيرا ما اهتم بعلوم الفقه والتفسير واشتهر بذلك، كما نستنتج كذلك أن علماء عصره كاتبوه وراسلوه ليمعن إعمال العقل والرأي في مسائل فقهية أشكلت عليهم، وهي وسيلة كان يتعلم منها هؤلاء العلماء من أبي عبد الله الشريف عن بعد، باعتباره عالما ملأ المغرب علوما ومعارف، بالإضافة إلى أنه حظي بمكانة كبيرة من طرف سلاطين بني زيان حيث أكرموه وصاهروه، وبنوا له مدرسة اليعقوبية ليشرف عليها ويبث العلوم بها.

الهوامش:

1- التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج،اشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، منشورات كلية الدعوة، طرابلس، ليبيا، 1989م،ج1. 2، صص431-463. وينظر الشريف التلمساني أبو عبد الله محمد، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، دراسة وتحقيق محمد علي فركوس المكتبة المكية، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ص51، وكتاب نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت،لبنان، ص70. ---2- الونشريسي أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان 1981م، ص224.---(3)- التنبكتي، المصدر السابق، ص430، وينظر الونشريسي،نفسه، ص224.---(4)- بوشقيف محمد، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (15/14م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة تلمسان، 2010-2011م، ص301.--(5)- نفسه، ص301، وينظر بن داود نصر الدين، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة تلمسان،2010/2009م، ص119.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ردمد ISSN 2170–1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

6– الزركشي محمد بن ابراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ص105، وينظر الونشريسي، كتاب وفيات الونشريسي، تحقيق محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، مصر، ط1، 2009م، ص56.

7– تلمسان: "مدينة أزلية ولها صور حصين متقن الوثاقة وهي مدينتان في واحدة يفصل بينهما سور ولها نهر يأتيها من جبلها المسمى بالصخرتين ..." ينظر الإدريسي الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ/1989م، م1، ص248. "وهي مدينة مستورة في سفح جبل شجره الجوز ولها خمسة أبواب... تلمسان قاعدة المغرب الأوسط لها أسواق ومساجد ومسجد جامع وأشجار وأنهار عليها طواحين... ولم تزل تلمسان دار للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك." البكري محمد الأندلسي، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، تحقيق حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013م، ص164، ويعرفها ابن خلدون قائلا: "ودار ملكهم فيه وسط بين الصحراء والتل تسمى بلغة البربر تلمسن وهي كلمة مركبة من تلم ومعناها تجمع وسن ومعناها اثنان أي الصحراء والتل ..."، ينظر أبو زكريا يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، وزارة الثقافة، الجزائر،2007م، ص85.---(8)– يحي ابن خلدون، المصدر نفسه، ص158.---(9)– بن داود نصر الدين، المرجع السابق، ص118.---(10)– التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص438.---(11)– الونشريسي، المعيار، المصدر السابق، ص225.---(12)– هو يحي بن أحمد بن محمد السراج الرندي النفزي الحميري، الفقيه الصوفي، له فهرسة وسماع صحيح، انتهت إليه رياسة الحديث في وقته، مات بفاس سنة 805هـ. الونشريسي،كتاب الوفيات، المصدر السابق، ص48.---(13)– أبو عبد الله محمد الشريف التلمساني، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، المصدر السابق، ص54.---(14)– ابن قنفذ القسنطيني، كتاب الوفيات، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1983م، ص368. ---(15)– ابن خلدون يحي، بغية الرواد، المصدر السابق، ص158. والتنبكتي، المصدر السابق، ص150.---(16)– بوشريط محمد، الشريف التلمساني وإسهاماته الثقافية، مجلة عصور الجديدة، عدد2، مختبر تاريخ الجزائر، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، 2011 م، ص132.---(17)– التنبكتي، المصدر السابق، ص433.

18– نفسه، ص436.----(19)– يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص170.---(20)– نفسه، ص169.

21– المقري التلمساني أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق وتعليق مريم مريم قاسم و يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2012م، المجلد السابع، ص224.

22– التنبكتي، المصدر السابق، ص433.---(23)– نفسه، 434 .---(24)– ابن قنفد، المصدر السابق، ص368.

25– ابن خلدون عبد الرحمن، رحلة ابن خلدون، عارضها بأصولها وعلى حواشيها محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004م، ص39/الونشريسي، الوفيات، المصدر السابق، ص43.---(26)– التنسي بن عبد الله محمد، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق بوعياد محمد، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1985م، ص179.---

27– الونشريسي، الوفيات، المصدر السابق، ص63.---(28)– التنبكتي، المصدر السابق، ص433.–(29)– نفسه، ص433، وينظر بن داود نصر الدين، المرجع نفسه، ص119.---(30)– التنبكتي، نفسه، ص433.

31– قاسمي بختاوي، من أعلام تلمسان أبو عبد الله الشريف التلمساني(716–771هـ/1316–1370م)، مجلة كان التاريخية، العدد الثامن، السنة الخامسة، ديسمبر 2012 م، ص20.---(32)– الشريف التلمساني، المصدر السابق، ص86.---(33)– التنبكتي، المصدر السابق، ص432.---(34)– الطمار محمد، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984م، ص142.---(35)– الشريف التلمساني، المصدر السابق، ص75.---(36)– ابن القنفذ، الوفيات، المصدر السابق، ص368.---(37)– نفسه:ص369. ---(38)– العربي حرز الله محمد، تلمسان مهد حضارة وواحة ثقافة، دار السبيل، ط1،2011م، ص213/خطيف صابرة، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011م، ص358.

39– ابن القنفذ، المصدر السابق، ص369.--(40)– التنبكتي، المصدر السابق، ص89، ابن خلدون عبد الرحمن، الرحلة، المصدر السابق، ص70.---(41)– وامتازت طريقة التدريس بتلمسان في هذه الفترة باعتمادها بالدرجة الأولى على تعويد الطلبة على البحث والتفكير وعدم الاكتفاء بالحفظ، فكان لذلك أثر محمود في تشحيذ الأذهان وتكوين علماء أجلاء ساهموا مساهمة كبرى في تقدم الحركة العلمية وتكوين أجيال صالحة من كبار العلماء، في عصرهم في شتى المجالات. ينظر حاجيات عبد الحميد، الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

زيان، مجلة الأصالة، العدد 26، جويلية–أوت 1975م، ص138.---(42)- محمد بوشقيف، المدرسة ونظام التعليم بالمغرب الاوسط خلال القرنين 8هـ/9هـ ـ 14م/15م، دورية كان التاريخية، العدد الحادي عشر، مارس2011م، ص139.--(43)- نفسه، ص139.--(44)- الإقراء: أقرأ غيره يقرئه إقراءً ومنه قيل فلان المقرئ ونقول أقرأ اصحابه أي أتقن القرآن وأحفظه، ينظر الزبيدي محمد المرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد العليم الطحاوي، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 2004م، ج1 ص364. (45)- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2014م، ج2 ص180.---(46)- المقري، المصدر السابق، ص367.---(47)- المديوني التلمساني ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م، ص168.--(48)- ابن خلدون يحي، المصدر السابق، ص458.---(49)- التنبكتي أحمد بابا، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق مطيع محمد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2000م، ج2، صص71-72. ينظر البستان، ص165.--(50)- نفسه، ص 73.---(51)- نفسه، ص75.---(52)- نفسه، ص75.---(53)- نفسه، ص77.---(54)- ابن مريم، المصدر السابق، ص168.---(55)- نفسه، صص172-173.--(56)- ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، تحقيق بن سعد عادل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2016، ص446.---(57)- ابن مريم، المصدر السابق، ص168.---(58)- حاجيات عبد الحميد، المرجع السابق، ص138.---(59)- نفسه، ص138.---(60)- التنبكتي، المصدر السابق، ص72.--(61)- ابن مريم، المصدر السابق، ص166.---(62)- التازي عبد الهادي، جامع القرويين – المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري-، دار نشر المعرفة، الرباط، ط2، ج1، ص127.---(63)- نفسه، ص127.---(64)- محمد بوشقيف، المدرسة ونظام التعليم بالمغرب الأوسط، المرجع السابق، ص60.---(65)- ابن مريم، المصدر السابق، ص173.--(66)- التقييد: تقييد الكتاب شكله، وتقييد العلم بالكتاب ضبطه، وتقييد الكاتب أو المتكلم أي حدد غرضه ومعنى كلامه وعينهما. ينظر الزبيدي تاج العروس، المصدر السابق، ج9، ص86.---(67)- التنبكتي، المصدر السابق، ص436.-(68)- هو أبو عمران موسى بن محمد بن معطي الشهير بالعبدوسي (ت 776هـ)، وكان له مجلس في الفقه لم يكن لغيره في زمانه، يحضره الفقهاء والصلحاء والمدرسون وحفاظ المدونة، ينظر ابن القنفذ القسنطيني، المصدر السابق، صص329- 330.--(69)- التنبكتي، المصدر السابق، ص75.---(70)- هو أبو عبد الله محمد بن أحمد القشتالي، قاضي الجماعة بفاس (ت 779هـ) من علماء فاس وقضاتها، قدمه السلطان أبو عنان المريني قاضيا بحضرة فاس، واختصه واشتمل عليه، وكان شاعرا مجيدا، له علم بالتوثيق وصناعته، وهو مفت في المسائل الفقهية ومتفنن في العلوم الأدبية، وله مشاركة في جميع العلوم النظرية والمتعالية، ينظر ابن الأحمر الغرناطي، نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1987م، صص358-359.--(71)- التنبكتي، المصدر السابق، ص75.---(72)- الشريف التلمساني، المصدر السابق، ص46.---(73)- ابن مريم، المصدر السابق، ص173.---(74)- بوشريط محمد، المرجع السابق، ص131.--- (75)- حميش عبد الحق، سير أعلام تلمسان، دار التوفيقية للنشر والتوزيع، المسيلة، الجزائر، ط1، 2011م، ص246.---(76)- هو فرج ابن قاسم ابن أحمد ابن لب التغلبي، من أهل غرناطة، يكنى أبا سعيد، برز بمزية إدراكه وحفظه، فأصبح حامل لواء التحصيل عليه بدار الشورى، وإليه مرجع الفتوى ببلده لغزارة حفظه وقيامه على الفقه، توفي سنة 783هـ، ينظر ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تقديم وتعليق بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات، الجزائر، 2009، القسم الخامس، ص221.---(77)- ابن مريم، المصدر السابق، ص175.--(78)- شرح جمل الخونجي: عنوان هذا الكتاب أكثر تداولا في المصادر التي تتعرض حال ترجمته عن تأليف الشريف التلمساني، هذا الكتاب يعد مختصرا منطقيا شديد الإجمال لا يتمكن من فهمه إلا من كان على اطلاع واسع بالعلوم العقلية، عارفا بالمنطق متبحرا في دراسته، لا تدرك حبايا ودقائقه إلا بعد المقارنة بكتب الخونجي المنطقية الأخرى، ينظر مقدمة كتاب مفتاح الوصول في بناء الفروع على الأصول، المرجع السابق، صص121-122.---(79)- ابن مريم، المصدر السابق، ص173.---(80)- الشريف التلمساني، مفتاح الوصول، المرجع السابق، ص46.--(81)- نفسه، ص46. (82)- نفسه، ص46.--(83)- ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، المصدر السابق، ص454.---(84)- نفسه، ص462.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com